العصافير تسرق خبزي

آلاء نعيم القطراوي

شعر

العصافيرُ تسرقُ خبزي

ISBN: 978-625-7240-53-6

عنوان الكتاب: العصافيرُ تسرقُ خبزي | شعر

اسم المؤلف: آلاء نعيم القطراوي

لوحة الغلاف: د. علاء اللقطة

الطبعة الأولى: ٢٠٢٢

جميع الحقوق محفوظة ©

دار موزاييك للدراسات والنشر

الفاتح -اسطنبول -تركيا.

E-mail: rameta12009@hotmail.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر

شعر

العصافيرُ تسرقُ خبزي

آلاء نعيم القطراوي

الإهداء

إلى نفحةٍ

استقرّت بروحي فكانت مدداً من ضوءٍ وحبٍّ وسِحْروتماهٍ وقوّة

آلاء

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

هكذا أود أن أموتَ في العشق الذي أكنّه لك، كقطع

سحب تذوب في ضوء الشمس

(جلال الدين الرومي)

بلا أيٍّ حبرٍ سريّ

تقولُ له وردةٌ في الشرودِ:

احترسْ

لم أكن جَبَلاً

إنّما حِيْلةُ الظلِّ خلفَ الجدارْ!

تقولُ لهُ شوكةٌ في الطريقِ:

احترسْ

لا تدسنيْ،

لكي لا أموتَ

على دمكَ المستعارْ!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

تقولُ له نجمةٌ في الضياعِ:

احترسْ

لستُ أعرفُ كُنْهَ انطفائكَ

لكنْ

أُعيذكَ من لوعةِ الانكسارْ

تقولُ لهُ سلّةٌ في الحقولِ:

احترسْ

لا تضعْ كلَّ دمعكَ بي

إنّي إذ أجفُّ تجفُّ

ولكنْ تذوبُ خيوطي من الملحِ

والشمسِ

والإنهيارْ!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

تقولُ له لوحةٌ في الفراغِ:

احترسْ

لا تصبني بفكركَ

حاولْ تراني بعينِ التجرّدِ

حاولْ

بألّا أكونَ ضحيةَ نظرةِ

مَنْ لا يجيدُ الحوارْ!

تقولُ لهُ صورةٌ في الخيالِ:

احترسْ

لستَ تنسَى تشابُهَنَا

والتماهي الذي في عيونِ الأيائلِ

ذاكَ الذي يشرقُ الكونُ فيهِ

ولا يترجّلُ منه النهارْ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

تقولُ لهُ دمعةٌ في الخفاءِ:

احترسْ

لا تراني

فإنّي أحبُّ احتجابي

ونزفَ الكواليسِ بي

لا تقل: فلتزيلي عن الحزنِ هذا الستارْ

وقل كذباً أنّها كم تجيدُ الفرارْ!

تقولُ لهُ كفّها في الجنونِ:

احترسْ

ربّما لا أصيرُ جناحاً

ولا أستطيعُ ابتكارَ النوافذِ

في جسدِ العمرِ

لكنْ سأبقى أُضيءُ المسافاتِ حولكَ

بالجلّنارْ

تقولُ لهُ دمعةٌ في الغيابِ:

احترسْ

إنّي بنتُ قلبكَ لا تستترْ خلفَ أوجاعها

وافتتحْ في القصائدِ لي

عند كلِّ ارتعاشةِ حرفٍ

مزارْ!

تقولُ لهُ غيمةٌ في النزيفِ:

احترسْ

إنّي ملحُهَا في التكاثفِ

إبرتها حين كانت تخيطُ الندى

في عروقِ الشجرْ

وإنّي أنا ندبةٌ في جبينِ المطرْ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

تقولُ له طفلةٌ في الشقاوةِ:

دعني أجرّبْ أطلُّ عليكَ بعينيكَ

دعني أزاحمْ جنونكَ

بين أصابع كفّي ودعني

أكونُ الذي قد تبقّى من الماءِ عبرَ الشقوقِ الصغيرةِ فوق شفاهكَ

دعني أكونُ التفاتةَ وجهكَ نحوي

ودعني على عنقٍ

لم يزلْ كلّما لامسته الرياحُ

يُصبْني الدُّوارْ

تقولُ له نظرةٌ كم تجيدُ التكبّرَ

في ذروةِ الانفطارْ:

ألا فلتدعني أغارُ

فقد كنتُ قبلَ الهوى

لا أغارْ

نقوشُ العذابات

غِبْ دونما صوتٍ يعذّبني لكي
لا نجرحَ الصمتَ الجليلْ

بي ما تشاءُ من النزيفِ ومنْ
جراحاتٍ على جسدِ الهديلْ

وبكاءُ روحٍ كمنجةٍ قد مسّها
لحنٌ طفوليٌّ قتيلْ!

بي جرحُ من عبروا إليَّ
ولم يكن لعبورهمْ بدمي سبيلْ!

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

أخشى عليكَ إذا وقفتَ بشاطئي

دمعاً على رملي يسيلْ!

فشواطئي صدرُ النساءِ النازفاتِ

وسكّةُ الجُرْحِ الطويلْ!

أخشى عليكَ لأنّ غيمكَ متعَبٌ

في كفِّ نيساني العليلْ

سيزيدُ حزنكَ لو لمستَ

ذبولَ أوردتي، وبستاني النحيلْ!

سترى احتراقاً كم تذوب به

الجبالُ، ويكتوي منه النخيلْ!

وتحسُّ سيّاباً بكى في لثغتي

إذ ليس للمعنى بديلْ!

سامحْ جنون بلابلٍ صمتتْ

وقد زهدَتْ بعاشقها الجميلْ!

لمّا أضاعت خيلكَ العربيَّ

كان الشدوُ في الصحرا ثقيلْ!

عَتَبِي بأنّكَ كاشفٌ للروحِ

تدري، أنّ إدباريْ صهيلْ!

وحقائبي ودّتْ تعودُ إليكَ

تنفي تُهمةَ الشوقِ البخيلْ!

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

قلبي يودُّ عبورَ موجكَ

غير مكترثٍ، بطوفانٍ يميلْ!

وأنا أريدُ ولا أريدُ، تعبتُ

كمْ قاسٍ وقوفي المستحيلْ!

ها صرتُ وحدي، والشجونُ أضاعني

وخريفُ أوجاعي الدليلْ

قد كان يشفيني الحضورُ بحزنهِ

والآنَ يقتلني الرحيل!

مجازاتٌ خفيّة

وحينَ أقولُ: صباحُكَ خيرٌ،

فإنّي أقولُ: (أطلْتَ الغيابَ)،

وقد كنتُ أرسمُ إسمكَ فوق المرايا

بما ذابَ من شمعةٍ

مُرْهَقَةْ!

وحينَ أقولُ: هل الطفلُ (قلبكَ)

قلبي بخيرٍ؟

تكونُ غصونُ دمائيَ مشبعةً بالبكاءِ

وأنفاسُ صحراءَ

في رئتي مُحْرَقَةْ!

وحين أقولُ لهُ: (كُنْ بخيرٍ)

أقول لهُ:

لا تَدَعْني،

افتقدني كما يفعلُ النجمُ كلَّ مساءٍ

مع الطيبينَ

كما تفعلُ الأمّ مع طفلها حين تسألهُ عن دمعةٍ

عَلِقَتْ بين أحداقهِ وتلعثمِ أحرفهِ في الكلامِ السريعِ

كما يفعلُ الوردُ في المزهريةِ حينَ يُضَمُّ بها

كَمْ يَضُمُّ إليهِ ندى الذكرياتِ

وأخيلةً في الشرودِ الطويلِ

كما يفعلُ البحرُ مع نورسٍ عابقٍ بالرياحِ

يلامسهُ ثم يعلو، هنالكَ بركانُ موجٍ يفورُ على ريشهِ

دون أيِّ تمّاسٍ

ألا فافتقدني

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

كما تفعلُ الشمسُ

في رجفةٍ مُوْرِقَةْ!

وحينَ أقولُ:

(هنالكَ لا شيءَ يبدو)

سأكذبُ!

أعلمُ أنّكَ تعلمُ هذا

لذلكَ أتعبُ أكثرْ!

ويصبحُ حبّي من الموتِ أخطرْ!

وحينَ أقولُ:

(ألا سُكّراً فوق شايكَ ضعني)

فإنّي أقولُ بأن لا تمرَّ عليكَ الثواني

بلا ذكرِ إسمي

وألا يمرَّ شرودٌ بعينيكَ من دونِ رسمي

لذلك ضعني على كوبِ وقتكَ

ضعني

وكيما نغنّي،

وينسكبَ العازفانِ

كآيةِ لحنِ!

وحينَ أقولُ لهُ الآنَ: (شكراً)

أقولُ لهُ:

لقدْ طفتَ بي مثلما طافَ شالٌ بِغُزّالهِ

مثلما طافَ كأسٌ من الماء فوقَ شفاهِ العطاشَى

وطُفْتَ كما طافَ قرصانُ موتٍ بقاربِ صيدٍ صغيرٍ

فأبصرَ دمعَ سيّدةٍ لم تكن مثلَ باقي النساءِ

بها روحُ أطفالِ المجرّةِ كلّها

وجمالِ سيقانِ السنابلِ حين ترقصُ لهفةً بيديها

فأعتقَ ركّابهُ مذ رآها

وبدّل مهنتهُ

ليصيرَ مزارعَ وردٍ بسيط!

لقد طفتَ بي

مثلما طافَ نجمٌ

بناسكةٍ في المحيطْ!

وحين أقولُ: (أحبُّكْ)

تُفَكُّ الستائرُ فوق جبينِ النوافذِ

ينطفئُ الشمعُ،

نورُ المصابيحِ يغرقُ في خَجَلِ البنتِ

حينَ تَدُسُّ بجرأتها

تحت قطنِ الوسادةِ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

تُغمضُ أحداقها قسوةً

ثم تمسكُ كالجمرِ شهقتها

ليتها لم تكن قبلها

لم تكن بعدها

لم تكن وقتها

لم تكن (ليتها)

وحين أدسُّ له وردةً في الحديثِ

فليست مجرّدَ أيقونةٍ مارقةْ!

فإنّي أقول بها:

لو تمرُّ على بحرها مرّةً يا حبيبي

لكي تنجوَ السفنُ الغارقةْ

لو ترى كم قراها

تجلِّلُها نارُ إسمكَ تأنسُ فيهِ

فبرداً سلاماً عليها

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

صباباتكَ الحارقة!

لو يحطُّ العُقابُ الذي في عيونكَ

في أرضِ عينيْ تماماً

سنغلقُ بابَ القصيدةِ مُنتصِرَينِ

على تَعَبِ في المجازِ

فما قد تقول العيونُ

جلالٌ يفوقُ استعاراتنا الفائقةْ

نسيتُ،

لوردتها نفحةٌ عابقةْ

أقولُ بها

دون أيِّ التفافٍ

أنا يا...

مُشتاقةٌ

واشتياقي بهِ لوعةٌ شاهقةْ.

محرابها كتفُك

مُذْ كنتَ ميثاقَ العهودِ وروحِهَا

مُذْ كنتَ أغنيتي على الشُرُفَاتِ

مُذْ كنتَ موّالَ ابتهالٍ في دَمِي

عطّرتُ إسْمَكَ من ندى النَفَحَاتِ

لو جِئتَ تطلبُ شالَهَا ستلفّهُ

عَبَقاً بجيدكَ طافحِ السَكَرَاتِ

سينامُ مُرتاحاً على كتفٍ بها

أمني، ومحرابي، وكلُّ صلاتي!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

آويتُ فيكَ الذكرياتِ وصورتي

ووجدتُ ما لم تحكهِ مرآتي

مطراً يزجُّ بكفهِ من ثغرةٍ

ملأتْ حقولَ الكونِ بالرقصَاتِ

قمراً يرشُّ الضوءَ فوق صبيةٍ

كانت تئنُّ بطعنةِ الخيباتِ

يا أنتَ خبِّئني بوحيكَ مرةً

حتّى تُنزّلَ آيةُ الرَحَمَاتِ

حتى أراكَ الآنَ أجملَ مشرقٍ

طلّتْ عليهِ الشمسُ في الظلماتِ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

حتّى أقولَ لكلّ عرّافٍ دنا

ليفكَّ أسراري من القَسَمَاتِ

هَوْناً عليكَ فإنني عُلّمتُ

من ربّي، وممّا خلّدوا ساداتي

أنَّ اليقينَ الحقَّ يشبهُ أن أسيرَ

على جنونِ النارِ ملءَ ثباتِ

كقصيدتي فكّت سنابلَ شعرها

وتألقتْ من دونما كلماتِ

نحكي بلا لغةٍ ونذوي مثلما

تذوي القلوبُ برعشةِ النَظَراتِ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

يكفي بأنّكَ طافحٌ في ليلها

وبأنّ روحكَ عرشها شَهَقَاتي!

جرّبتُ وِرْدَ الإختباءِ وكلّ ما

قد كانَ من هَرَبٍ، ومن حَسَراتِ

وهربتُ منكَ إليكَ، أشكو ثغرها

ذبحوا به نهراً من الضحكاتِ

فأتيتَ محتشداً بموئلكَ الذي

ضمدّتَ فيهِ، العمرَ جرحَ شتاتي

قرّبْ عيونكَ من عيوني، لم أجدْ

إلاكَ روحاً نفسُهَا هي ذاتي!

شتاتٌ دافئ

مَنْ أنتَ؟

كيفَ عبرتَ كلَّ حواجزِ الغرباءِ والعشّاقِ والنسّاكِ والشعراءِ

والأحياءِ والأمواتِ

كيف عبثتَ بالتكوينِ فيَّ خرائطاً صارت شتاتاً

كلّما لَمسَتْ دمي

قارورةُ العطرِ التي ذابت بقلبكَ

وارتجفْتَ بها أمامي!

اعبرْ بروحيَ مطمئناً

لم أعدْ أقوى على رميِ السهامِ!

واحملْ عذابكَ رحلةً كونيةً

صمتتْ

وقد نذرتْ هواها مثل مريمَ للصيامِ

سيجيءُ وعدُ اللهِ

حينَ يُنطّقُ الأشياءَ، تسمعُ

للصهيلِ صدىً يُفَجَّرُ في الرخامِ

فاتركْ صباحكَ يا

ص ب ا ح كَ

يعتني بِحَمَامِيْ!

مَنْ أنتَ؟

روحي

قد رأتكَ ملاذها من قبلِ قبلي

وانبهرتُ

بذلكَ الشغفِ المُحَنّى

بالجلالِ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

فردوسُ كلّ قصيدةٍ

عرشَتْ على يمّي فكانَ روايةً

فاقت بحبكتها مجازاتِ الخيالِ

أدري بأنَكَ لستَ

تُدرككَ احتمالاتُ السؤالِ

وبأنّ بحركَ لا يشيخُ ولا يتوبُ

ولا يُجرّبُ أيّ

عاصفةٍ ليجترحَ الموانئَ بالقتالِ

هو هادىءٌ

كصفاء عينكَ

حينما كانت تُنَقّلُ نظرةً قَدّيسةً

من سُكْرِ إغواءِ الحرامِ

إلى الحلالِ!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

منْ أنتَ؟

متعبةٌ وفيك بدا انخطافي عالياً

زمّلتُهُ بالياسمينِ وضفّةٍ

مشتاقةٍ

فتكشّفَ النهرُ الذي عمّدتهُ

ببخورِ مسبحتي وآياتِ انتظاري!

دثّرتهُ بصمودِ جيشكَ

لا يريدُ بأنْ يرى خدشاً على أسواري!

بحنينكَ الرقراقِ يزرعُ

صابراً لغةً من الأشجارِ

كم مرّةً لفحتْ عصافيرٌ سمائي

حينَ كنتَ توشوشُ الأزهارَ باسمي

ثم كنتَ تعيذها من قسوةِ الأسفارِ

كم مرّةً أجّلْتَ أغنيةً مُحَرّقَةً ببالكَ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

وارتسمتَ كغيمةٍ بنهاري!

كم مرةً ضمدتَ جرحكَ

وابتسمتَ

وقلت لي: هيّا لنكتشفَ البراري!

فشهدتُ فيكَ زئيرَ ليثٍ مُنهكٍ

في صدرهِ سيفٌ

يوزّعُ من دماه على البحارِ

وبعينهِ يا عينَ عيني

عزّةٌ عربيّةٌ

بادلتُها بِفَخَاري!

لا أستطيعُ قتالَ قلبك!

سأعودُ خاسرةً

إذا أعلنْتَ حَرْبَكْ

*

فأنا احتراقُ مدينةٍ في مذبحِ الشعراءِ،

نِصْفُ قصيدةٍ محروقةٍ في قلبِ أمّي

وأنا الشتاءُ المرهَقُ العفويُّ

إنْ أَحْنى مواسِمَهُ على أكتافِكْ

*

وأنا انتظارُ الغارقينَ لموتهمْ

نردٌ يراقبُ دَحْرَجَاتِ أصابعٍ لعبت بهِ

وأنا اختبارٌ مُتْرَعٌ بالوخزِ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

أخشى أن تصيبكَ لوعةٌ

رَغْمَ احترافِكْ!

وأنا التلاشي في انكسارِ الشمسِ

فوق نوافذِ الطرقاتِ،

إحساسُ الطبيعةِ بالتشافي حين تُطلِقُ أيلها

في سهلِ روحي

هكذا سحرٌ دمشقيٌّ عتيقٌ خلف بابي واقفٌ،

وأحسّهُ لغةً بموسيقى ارتجافِكْ

سأعودُ خاسرةً

إذا أعلنتَ حربكْ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

لن أستطيعَ قتالَ قلبكَ لو علمتَ

لأنني لنْ أستطيعْ!

بي كلُّ أنّاتِ الجبالِ، تلوّعِ الخطواتِ، أصواتِ القطاراتِ الحزينةِ

حين تهربُ من محبّيها وبي

أنا ذلك النورُ الخفيُّ إذا فتحتُ البابَ

أخشى حينها قلبي الفراشةَ أن يضيعْ!

لا أستطيعُ قتالَ قلبكَ لو علمتَ

لأنني لا أستطيعْ!

لُغزٌ دائخٌ بي

أيا لغزاً سرى في كبريائي
وأورثني سكوتَ الأنبياءِ

يموسقُ من رؤى البُسَطَا هديلاً
سماويّاً تذوبُ به دمائي

يُلوّعُ شطّ عكّا والسواقي ال
محمّلةِ الرسائلِ والضياءِ

يفكُّ ضفائرَ الصمتِ المحنّى
على وجهِ القصيدةِ في حياءِ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

كأنّ الله قد أعطاكَ كفّاً

تُرقّصُ ما تشاءُ كما الهواءِ

وتخلعُ ليلَ إسرائي، لتلقَى

هلالاً ذابَ من نار اكتوائي

تجلّى الله لو تدري بلطفٍ

على حُزنِ الصبيةِ في الخفاءِ

أُسِرُّ لهُ بموّالٍ تشظّى

على النواياتِ مكسورَ الغناءِ

بظبيٍّ مالَ كي يرتاحَ حيناً

فباغَتُهُ رصاصُ الأشقياءِ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

ووحدكَ يا إلهي كنتَ تدري

بما في الروحِ من قهرِ البكاءِ

وتدري في شفاهي حين تسري

كؤوسُ الماءِ، ما رُشِفَت كماءِ

وتعرفُ كلّ أوجاعي وتُغري

ملامحها بأنْ كُفّي عنائي

إلهي دُختُ في تفسيرِ ظلٍّ

تمرأى بينَ أرضي والسماءِ

أحرّرهُ فيأسرني جنوناً

يُفتّقُ كلّ لغزٍ للظماءِ

قهوتها لا تذوب!

مِقْعَدُها فارغٌ في القطارِ

وقلبكَ نافورةٌ مِنْ تَعَبْ!

دَمْعَتُها موقدٌ في جفونِ النّوافذِ،

تلكَ محطّاتُ شوكٍ

على صبرها قد تجبّرْ!

وسوسنها لا يصلّي على كتفيكَ

وأمطارها لا تصومُ بمحرابِ غيمكَ

والوقتُ يحرقُ أكثرْ

كأنّ زجاجاً بصَدْرِ مواويلها قد تكسّرْ!

كأنّ احتمالاً رقيقاً من الياسمينِ

تأخّرْ!

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

مِقعدها فارغٌ في القطارِ

وقلبُكَ عاصمةٌ من لَهَبْ!

قهوتها سَرْوَةٌ قطعوا نصفها

فاكتوت بالرياحِ

التي تلفحُ الذكرياتُ عصافيرَهَا..

ترهقُ مَنْ يستريحُ على ظلّها

بالندوبْ!

قهوتها حجرٌ في غيابكَ

مهما تحرّكُهَا

لا تذوبْ!

تدركُ أنكَ دربٌ طويلٌ من الحربِ والموتِ

لكنّها حين تعبرهُ

قسماً لا تتوبْ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

مقعدها فارغٌ في القطارِ

وقلبكَ آخرُ ما تشعلُ النارُ جِسْمَ الحَطَبْ

دَمْعَتُهَا شكّلَتْ قصَبَاً نازفاً

في الحدودِ

وحقلاً يجذّفُ خوفاً

من الغَرَقِ المحتَمَلْ!

ضائعٌ وجهها في الصحارى

وحينَ رأتْكَ

إلى واحةِ الحالمينَ وَصَلْ

مقعدها فارغٌ في القطارِ

وقلبُكَ في قلبها دافئٌ

فلا وقتَ للخوفِ أو للعتَبْ!

كدعاءٍ لا أَمَلّ منه

دعوتُ بأنْ تسيرَ
على فراتِ الروحِ (منهمرا)

وتمسحَ عن سمائي الحزنَ
تقسمُ لي غداً قَمَرَا

تدقُّ على شبابيكي
لتُهدي جدبها مطرا

نفيضُ على كؤوس الليلِ
مجذوبان كالشعرا

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

فأنسى أنّ لي وطناً

على أحلامنا انفطرا

وأنسى رحلتي في الجبّ

عمري حينما انشطرا

دعوتُ بأنْ يعودَ النايُ

من عينيكَ منتصرا

فلا يبقى بلا عزفٍ

ولا يلقاكَ منكسرا!

يعزّ عليّ أن تبقى

على النيرانِ منتظرا!

فلا تَرْوَى من النبعِ

الذي من وحيكَ انفجرا

بأن لا تذبلَ العينانُ

ألّا نوجعَ الصورَا

بأن تبقى ظلالُ الله

فوق ظلالنا شَجَرَا

دعوت بأن يقول الله:

كن يا كُلّها قَدَرَا

مقاماتٌ للغناءِ المُرّ

لـو تصيرُ يدي حماماتٍ أُطيّرُها

إليكْ!

مذعورةٌ ملءَ الحروبِ على بلادي

ملءَ انكساراتِ المخيّمِ

حينَ يبدو صامداً

وبروحهِ فتقتْ مدامِعَهَا سماواتُ الحِدَادِ

ملءَ الغناءِ المُرِّ

إنْ لَمَسَتْ مقاماتي شفاهَ الظامئينَ

ولم تَرِدْ إلا محيطاتِ الرمادِ

ملءَ التسابيحِ التي

رتقتْ ظننتُ وربّما فتحتْ جراحاتِ المُرَادِ!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

لو تصيرُ يدي سنابلَ حينَ أنسُجُهَا على كفيكْ!

محروقةٌ أرضي

وقد سرقوا مواسمها جميعاً

فانتبذتُ بجذع صحرائي ولا رطبٌ عليها!

قَدَري هنالكَ أنْ أوزّع تمر قلبيَ

للمساكينِ اليتامى

ما درَوا كيفَ الخناجرُ قد غَزَتْ عينيها!

قَدري بأنْ أمشي بفُلكِ اللّهِ

أدري أنّ نوحاً سوفَ ينقذني إذا ما فارَ تنورُ الغيابِ

ولم تجدْ جبلاً ليعصمها / إليها!

قَدَري أراكَ

فإنّي أبصرتُ رغمَ الحُجْبِ إسمكَ

ألفُ كَشْفٍ حفَّ نورَكَ حين يغزو عاشقاً

رمشيها!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

لـو تصيرُ يدي مآذنَ كي تصلّيَ

في ربا زنديكْ!

مكسـورةٌ أبوابُ روحي

صرتُ فارغةً

سـوى من وردةٍ في الذكريـاتْ!

نَقَشَتْ هنا حنّاءها

فتكشّـفت عن رحلةٍ في الـضوءِ

تعبرُ حاجزَ الصلصالِ

تروي عن صهيلٍ جامحٍ في الأرضِ

لكن دونما أصواتْ!

إذ كنتُ أفهمهُ

وأسمعهُ

وأبصرهُ

وأقرؤهُ

٥٥

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

جنوناً رغمَ ألفِ رصاصةِ

ما ماتْ!

لذلكَ كنتُ أغرقُ

كلّما فاضَ الحنينُ

كأنّما فاضَ الفراتْ!

صراخُ النّارِ والطوفان

عيناكَ أحجيتانْ

صدري شبابيكٌ عتيقةْ

ولديَّ جوريٌ يجفُّ على الأريكةْ

صمتٌ رماديٌّ

ومرآةٌ بألبومٍ من الأحزانْ

ولديَّ تاريخٌ يُفسّرُ كلّ أحلامِ الحدائقِ

حين يغفو لوعةً عِذْقٌ من الرمانْ

فيرى انحسارَكَ

وارتباكَكَ

واعتلالكَ عالياً

ويرى صراخَ النارِ والطوفانْ!

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

عيناكَ أحجيتانْ!

ورموزُ قلبكَ كفُّ نقّاشٍ على حُجُراتِ بابلْ

رقصةُ الحَجَلِ الخجولَةِ فوقَ صمتي

وطبولُ أعراسِ القبائلْ

ورموزُ قلبي

ألْقهِ في اليمِ صبراً

إنّني بسكينةِ الرحمنِ كنتُ أقاتلْ

مَنْ أنتَ؟

إذْ أنّى لشيفرتكَ المَهيبةِ أن تُحَلَّ

وكيفَ أختبرُ الهواءَ وكلّ

أوردتي اختباراتٌ عنيدة!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

ارفعْ مجازكَ شاهقاً

أخْفِضْ غموضَكَ راسخاً

إنّي لِرشفِ جنونِكَ العالي مُريدةْ!

بين اقترابكَ وابتعادي

أحبُّ اقترابكَ

أخشى ابتعادي

وأهوى هطولكَ

فوق بلادي

هنالك جندٌ

على كلّ وادي

يقصّون أجنحتي

باعتدادِ

وينسونَ أنّي

كقدسِ العنادِ

محاربةٌ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

لا تطيقُ

حِيَادي

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

إن الحزن الصامت يهمس في القلب حتى يحطمه

(شكسبير)

لا تنتصرْ لي في شرودكْ

أُخرجْ

فإنّ قصيدتي تعبتْ

وفيها غرفةٌ مذبوحةٌ بوجودِكْ

أُخرجْ

وأغلقْ بابها

لم تقتنعْ بوعودِكْ

ألقيتَ فوضى العالمينَ بروحها

وسكنتها رغماً

وكنتَ تمزّق الغيمَ الذي في عينها

بجمودِكْ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

ماذا يظلُّ

إذا حبسْتَ فراشةً مغمورةً بالياسمينِ

وقد حرقتَ جمالها

بجحودِكْ!

أطفأتَ وجه الصبحِ

في موّالها

وتركْتَ موسيقى من الأنهارِ

تنضبُ من سدودِكْ!

أخرجْ

فإنّ قصيدتي تعبتْ

وما عادت تخافُ أذى جنودِكْ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

مُذ كنتَ

تكبحُ كلّ أجنحةِ الطيورِ على يدي

ببرودِكْ

مذ كنتُ لا..

إذ لم أكنْ شيئاً حقيقياً

فلا تكذبْ عليَّ

فليس ثَمَّ دموعُ حبٍّ في ردودكْ

تدري بماذا قد أحسُّ؟

بروح يوسُفَ حينما ألقتهُ كفٌّ

ظنّها أمّاً عليهِ

وكان ذاك الجبُّ صفعتها الأخيرةَ

لو دريتَ

لَمَا انتصرتَ لذكرياتي في شرودِكْ!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

فدمي جريحٌ

كم تعبتُ

فتحتُ باب قصيدتي

لتفضَّ كلّ زمانك الماضي

لتخرجَ من حدود شواطئي

وأنا لأخرجَ من حدودِكْ!

أعَرّشُ رغمَ النزيفِ ببالِكْ

بينما أتحسّسُ جُرحي

أرى لعبةً غرقتْ بالبكاءِ

تطلُّ على صورتي الزائفةْ

فينكسرُ النهرُ بي

ولستُ أرى غيرَ طفلتهِ الخائفةْ!

أقولُ لنفسي: ألا فاحزني

وذوبي من الحزنِ أكثرْ

وخلّي الكمنجاتِ من ذبحةِ الغدرِ

تسكَرْ

ولومي صفائي

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

فكم مرّ في صدرهِ خنجرٌ

وشفَّ ولم يتكدّرْ!

بينما أتحسّسُ ظلّي

أرى قصةً تنطوي لا تجيدُ الكلامْ

فتهربُ في رحلتي

كي أبدّلها بسنونِ السهامْ!

ومن فرطِ هذا الوجعْ

أداري جراحي بعشِّ حَمَامْ!

أقولُ لنفسي: ألا فازهدي

بقوّتكِ المستحيلة!

فإنّكِ متعبةٌ فاستريحي

وقولي بأنّكِ روحٌ عليلةْ!

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

وعيشي انهيارِكِ

عيشيهِ

حتّى تعودي جميلةْ!

بينما أتحسّسُ صمتي

أرى مُهْرةً نائحةْ!

وسهلاً تمرّدَ

يَصْفرُّ في ذروةِ الإخضرارِ

فليستْ سنابِلُهُ جامحةْ!

وضوءاً منَ الكاميرا كان فوقَ

ملامحِها

ضحكةً ذابحةْ!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

أقول لنفسي: ألا فارفقي

بذبولِ اكتمالِكْ

ولا تجلدي بالعتابِ

رموشَ جمالِكْ

ولا بأسَ خلّي الخريفَ

يفورُ بتنورهِ لاحتلالِكْ

ستختنقينَ ولكنْ

هنالكَ وردٌ على شُرُفاتِ خيالِكْ

يقولُ: سأبقى أُعَرّشُ رغمَ النزيفِ

ببالِكْ!

مثلما ينتهي الأوكسجين

مثلما ينتهي الوقتُ

في ساعةِ الرملِ

في حَدَقَاتِ المُحَكِّمِ عندَ احتدامِ النهايةْ

مثلما ينتهي الأوكسجينُ من المُسعفينَ

ويُقطَعُ حبلُ الروايةْ

مثلما ينتهي بائعٌ للتذاكرِ من بيع كلِّ تذاكرهِ

ثمَّ يُقْفِلُ شُبّاكَهُ بعنايةْ

مثلما تغرقُ الشمسُ في البحرِ

كي تنتهي لقطةٌ في عيونِ الغوايةْ

مثلما ينتهي الفأسُ من قَطْعِ جذعٍ

فليسَ يعودُ لشكلِ البدايةْ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

:

أراكَ

ا/ن/ت/هـ/ي/تْ .

مثلما تنطوي صفحةٌ في كتابْ

مثلما ينطوي الصيفُ

تبدأ ريحُ الخريفِ بلفحِ القِبَابْ

مثلما تنطوي الذكرياتُ ويُغلِقُ في القلبِ

غرفتَهُ ألفُ بابْ

مثلما تنطوي صورةٌ بعدما ملأتْ

صدرَ منكسرٍ بالعذابْ

مثلما تنطوي نجمةٌ في ازدحامِ الدموعِ

فلا تقتفيه ندوبُ الغيابْ

:

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

أراكَ

ا/ن/ط/و/ي/تْ .

مثلما تتكسّرُ كأسٌ وقد وقعتْ

من يدِ الناذلةْ

مثلما يتكسّرُ عودٌ من القشِّ

حينَ مشتْ فوقهُ الحافلةْ

مثلما تتكسرُ نظّارةٌ

فوقَ عينٍ تداري احتراقَ مدامِعها القاتلةْ

مثلما يتكسّرُ موجٌ على رئةٍ قاحلةْ

مثلما تتكسّرُ أغنيةٌ

في دفاترِ ذاكرتي الزّائلةْ!

:

أراك

ا/ن/ك/س/ر/تْ .

مثلما يكرهُ الشهداءُ الذينَ يُصيبونهمْ

بالرصاصْ

مثلما يكرهُ المذنبُونَ القصاصْ!

مثلما يكرهُ النازفونَ

اختبارَ الخلاصْ!

مثلما يكرهُ الطيبونَ

مداعبةَ الوردِ بالإقتصاصْ!

مثلما يكرهُ الطيرُ

رقصَتهُ بعد ما كانَ من طلقةِ الإقتناصْ!

:

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

أنا

أ

ك

ر

هـ

ك

اكسرني أكثر.. لأنعتق

لقد أسرفتَ في كسريْ

وقد أسرفتُ في جبرِكْ

تَرَكْتَ نُدُوبَها الأقسى

تنامُ على لظى جمرِكْ

وقد أحرقْتَ فيها الغيمَ

خيراً ضاقَ من شرِّكْ!

لذلك لا تقلْ: يكفي

فكم قد متُّ في قبرِكْ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

وإنّي لم أعدْ عُشباً

لأنمو في مدى نظرِكْ

وإنّي لم أعدْ شَغَبَاً

يناغي الطفلَ في نَمِرِكْ

لقد عبّأتها خوفاً

فكيفَ تلوذُ في صدرِكْ

وكيف ينامُ عصفوري

على الأشواكِ في ظهرِكْ

فلا يرتاحُ بي شَجَرٌ

إذا ما مالَ في شَجَرِكْ

ولو عَطَشَاً أموتُ الآنَ

لن أنسابَ في نهرِكْ

لقد قامرتَ في عمري

لتربحَ بي سنا عُمْرِكْ

وأجملَ ضحكةٍ في الكونِ

رَفّتْ في سما طَيْرِكْ

لتربحَ طيبةَ الزُّهّادِ

برداً طافَ في حرّكْ

تُضَمّدُ فأسْكَ القاسي

ولا تؤذيكَ في كَسْرِكْ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

لتربحَ رقّةَ الشعراءِ

فاحتْ من هوا عطرِكْ

وتربحَ سَكْرَةَ النايـاتِ

سرّاً شفَّ في جهرِكْ

براءتها التي أَحْيَتْ بها

ما ماتَ من مَطَرِكْ!

شقاوتها التي تُبكي

جنودَ الظُلْمِ في قصرِكْ

أسوّي وحشةَ الطرقاتِ

ثمَّ أَئِنُّ من حَفْرِكْ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

سأخسرُ ما تشاءُ الآنَ

كي أرتاحَ من بئرِكْ!

تصطادُ من نجمةٍ نورَهَا

وأعرفُ حزنكِ

أعرفُ كيف تموتينَ خلفَ الكواليسِ وحدَكْ

وأعرفُ كيف تعيدينَ

منحَ الصباحِ مهمتهُ في التسللِ نحوَ العيونِ إذا حسَّ خَدَّكْ!

وتبتسمينَ لكلِّ العصافيرِ في الطرقاتِ

وحين تدارينَ وجهكِ خلفَ القناعِ

تُجيدينَ جَلْدَكْ

وتعطيكِ كفُّ المسيءِ سهاماً

وتعطيهِ وَرْدَكْ

وأعرفُ أنّكِ خلفَ

ستائرِ حزنكِ وحدَكْ

وأعرفُ صبركِ

نارٌ تقولينَ فيها: استمري فإنّي وهبتكِ

ما في الرضا من رضا

فإنَّ الذي قد قضى

(قد قضى)

أذيبي ضلوعي

فشيءٌ جميلٌ تودّعهُ روحها

قد مضى!

وأعرفُ نوركِ

ذاك الغريبُ الحزينُ الذي لم يجدْ

مقعداً في القلوبِ لكي يستريحْ

ذاكَ المشرّدُ بين المنافي

وفيه عينهِ طفلةٌ كم تصيحْ!

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

وذاكَ الذي يُستباحُ

بقبحِ الذين استعاروهُ غصباً

ولا يستبيحْ

وأعرفُ روحكِ

تصطادُ من نجمةٍ نورَهَا

ثمّ تغرقُ في رحلةِ البحثِ عنها

وتقرأ أسئلةً في البدايةِ

قبلَ التكوّنِ أصلاً

وتدركُ صوتَ الإلهِ الذي أودعَ السرَّ فيها

فتُبصِرُ ما ليسَ يُبْصَرُ

في حاسديها!

وأعرفُ حُسنكِ

ذاكَ الذي يملأُ النهرَ بالشَهَقَاتِ

ويتركُ رعشتهُ فوقَ ياقةِ سهلٍ خجولْ

فيُربِكُ في ضفةٍ شتلةً

تراقصُ بالضوءِ

ليلَ الذبولْ

ويفتحُ في مقلتيهِ الشبابيكَ

حتى يُتِمَّ الصباحُ الهطولْ

فحُسنكِ يغري الفناجينَ في صمتها

أن تقولْ!

لستُ بخير

لستُ بخيرٍ

وإنّي أسيرُ على إبَرِ الكبرياءِ

أطوفُ على الشهداءِ

أُصَابُ بحمّى العزاءْ

وأكبرُ أكثرَ من شجرٍ عمرهُ ألفُ عامٍ

وبحرُ فراق!

لستُ بخيرٍ

وكيفُ أكونُ بخير..؟

وإنّي رأيتُ أباً في الذبولِ

ينادي على صورةٍ في يديهِ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

لطفلٍ يشابهُهُ في الملامحِ

كان يقولُ لهُ كلَّ صبحٍ: حبيبي

وصارَ يعلّقهُ صورةً

إذ يقولُ لنا:

ليتهم تركوا خدّهُ كي أقبّلهُ بهدوءٍ

أذابوهُ بالقصفِ

كم أشتهي ضمّهُ

فمازلتُ أشعرُ بالجوعِ

إذما يُجَنُّ بصدري العناقْ!

لستُ بخيرٍ

وفيَّ التحامُ الجنازاتِ في شارعٍ ضيّقٍ

ونظرةُ طفلٍ

يطيلُ الوداعَ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

وصوتٌ تذوبُ ببحّتهِ مدنٌ

صارَ يُتعبها الإشتياقْ!

لستُ بخيرٍ

وفيَّ ارتجافُ العصافيرِ

بينَ الرصاصِ

وفيَّ احتضارُ السنابلِ

إذ حاصروا حقلنا

بالقنابلِ

لا يعلمونَ

بأنّا نجيدُ التنفسَ في الإختناق!

لستُ بخيرٍ

يقولُ: بأنّي كصحراءَ أبدو له قاحلةْ!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

وما كان يعلمُ

أنّ سمائي تغطّي البسيطةَ بالغيمِ

أنّ سلالي توزّعُ ورداً على البسطاءِ

وأنّ بصدري مئاتُ الفراشاتِ

لو كان يعلمُ ذلكَ

لو كانَ يعلمْ!

ربّما ما بكيتْ!

لستُ بخيرٍ

وبي شالُ نازحةٍ لا يغنّي

ودمعٌ على وجنتيّ المخيّمِ

تطبخُ أمّي مدامعها كي تجفَّ

وأرشفُ من بحرِ غزةَ ملحَ المآسي

وأبسمُ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

تفضحني صورةٌ في المرايا

تقولُ لعيني: أقلّي التعالي قليلاً

وقولي بأنّي احترقتْ

أقولُ لها: إنّي قدْ حُرِقْتْ

لستُ بخيرٍ

لأنّي ظننتُ بأنّي نجوتُ من الحربِ

لكنْ حقيقةُ هذا

بأنيَ قد متُّ فيها كثيراً

وإنْ حسبوا أنّي قد نَجَوْتْ!

نستعيرُ منكِ الهواء، فلا ينقطع!

(الـورد)

تفوقينهُ حُمْرَةً

ويعترفُ الآنَ أنّكِ أعبقُ منهُ

وأجملُ منه!

(البحر)

تفوقينهُ زُرقَةً

ويعترفُ الآنَ أنّكِ أملحُ منهُ

وأصدق منه!

(النّحّات)

تفوقينهُ في اختبارِ التشكّلِ

لا يعرفُ الطينُ، كيفَ يكونكِ؟!

لا تُعْجَنينَ بصلصالهِ مَرَتينْ!

(الشاعر)

تفوقينهُ في القصيدةِ

إذ يكتبُ الآن إسمكِ

ثمّ يعيدُ كتابةِ إسمكِ فيها

فيكتملُ الشعرُ لو تعلمينْ!

(الحنين)

تفوقينهُ في احتراقِ المدائنِ حزناً

وتختبرينَ به حبّنا

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

فتفترشينَ له في يديكِ احتدامَ

الفراقِ اللعينْ!

(الغيم)

تَمُدّينَهُ بالبياضِ

وتمتزجينَ برعشتهِ المرهفةْ

فتحتضنينَ المدى بالنقاءِ

ويحتارُ من أيِّ داليةٍ في عيونكَ

ينضجُ نهرُ الجمالِ لكي يقطفهْ

(السماء)

عرفتُ السماءَ

وقد سكبوا من دمائِكِ فوق الحصى والرمالْ

قرأتُ الهواء اختباراً عسيراً على رئتيكِ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

فما عادَ فيها احتمالْ

وإذ كانَ ينفذُ منكِ

تعيرينهُ للعصافير في وطني والتلالْ

فمنْ أيِّ جرحٍ سينزفُ في جسدِ الشرفاءِ الجلالْ؟

(الكاميرا)

ستُبكينها حين لا تُطْبَعينَ عليها

كأولِ شخصٍ يقولُ لها بامتنانٍ: صباحكِ خيرْ

ستُبكينها حين ليست ترى بسمةً من جنونِ القمرْ

ستُبكينها حينَ تلقطُ صورةَ جثمانكِ المنتصرْ

دماً قد تناثرَ في روحها والشجرْ

ستُبكينها حينَ لستِ تحطّينَ في مقلتيها

كصدقِ المَطَرْ!

(فلسطين)

تساوينها بامتداد النجومِ

على كتفيكِ وأنتِ تنيرينها

مثلما تفعلُ الأمّ قبلَ

الوداعِ الأخير

سيغيبونَ وتلوحي

زيتونةٌ أخرى لِأُسْرِجَ روحي

في بابها جرحٌ

أبٌ لجروحي

طيّرتُ من عينيَّ ألفَ حمامةٍ

شقّتْ حواجز غيّهمْ

لتفوحي

لو يفهمونَ كلامَ عينيَ كبّلوا

رمشَ العيونِ

ونكّلوا بسفوحي

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

هذي يدي فوق انثيالكِ قبّةً

نبويةً

لم تعترفْ بنزوحي

كسروا شبابيكي ولكنْ إنْ أقلْ

(قدسي)

ستُبنَى في الغيومِ صروحي

وتقومُ ألفُ قيامةٍ

من فوهاتِ ثبات أعذاقِ الخليلِ

وجرحنا المفتوح

هاتي ذراعكِ كيْ أجبّرَ كسرنا

وربيعَ صوتيَ

في الهوى المبحوحِ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

هاتي جفونكِ كي أُسرّبَ ضوءها

للاجئينَ

على المدى المذبوحِ

وخذي شتاء الطيبينَ لباحةٍ

شرفُ الخليقةِ

أن يغيبَ جميعهم

وتلوحي!

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

محبتهُ لكَ محبةُ الأصلِ لفرعه ومحبتكَ لهُ محبةُ الفرعِ لأصله

(ابن عربي)

يدي لا تدعها

يدي لا تدعها،

أنا خائفةْ

يدي يا إلهي

يدي راجفة!

عظيماً، رحيماً، ودوداً

تُعتّقُ بي رعشةً وارفةْ

حبيباً، جميلاً، رؤوفاً،

ترى ما ترى

في الرؤى النازفةْ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

وصالُكَ يُجْلي غبارَ

المحطّاتِ

في الروحِ والمدنِ الزائفةْ

وقُربُكَ نهرٌ يضيءُ دمائي

ويجعلني

نجمةً عارفةْ

حبيبي امتحني ولكنْ

ترفّقْ بقلبي إذا لمستهُ

يدٌ قاطفةْ!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

يدي لا تدعها

أنا متعبة

يدي يا إلهي

يدي شاحبةْ

وفيكَ اكتمالُ الحدائقِ

حين ستذبلُ

في رئتي

شهقةٌ لاهبةْ

وفيكَ إلهي سأرشفُ

أنهارَ عفوكَ

رغم تعاليمكَ العاتبةْ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

كشاعرةٍ نصفها خمرةٌ

ونصفٌ أراها بهِ راهبةْ

ستغفرُ يا ربّ

إنّك تغفرُ

حين تجيئكَ أشعارنا

تائبة!

يدي لا تدعها

أنا ضائعةْ

يدي يا إلهي

يدي الجائعةْ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

يدي لو حَنَنْتَ عليَّ

سأمسكُ غَيْمَ السَمَا السابعة!

يدي يا إلهي، تحبّكَ

أَطْلِقْ فراشاتها للفَضَا والسَّعَةْ

رأيتُ على طينها نخلةً

تناجيكَ

في لهفةٍ موجعةْ

سيسجدُ قلبي على كلّ حالٍ

فأُنسُكَ يُشفي الذي لوَّعَهْ!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

يدي يا إلهي

فلستُ أضيعُ

ومَنْ قد يضيعُ

وأنتَ معهْ

يدي لا تدعها

أنا حائرةْ

يدي يا إلهي

يدي الحاسرةْ

فصلصالها طيّبٌ

كيف تمشي على رقّتي

خطوةٌ ماكرة!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

وصيفي سلامُ المحبينَ

حين تطوّقهُ بالسنابلِ

أنهارُكَ الطاهرةْ

معي ضحكةٌ

من قديمِ الهوى

لم تمتْ

روحها حاضرة!

فأوصِ المجراتِ

رفقاً بدمع المُريدةِ

حين تجيءُ لنا سائرة!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

يدي لا تدعها

أنا باردةْ

يدي يا إلهي

يدى فاقدةْ!

ستدفعُ خلقك بعضاً ببعضٍ

وتبقى مدامعنا

خالدة!

فهبْني رضاكَ

لأمشي على النارِ

مائيْ قصائديَ الساجدةْ!

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

وهبني رضاكَ

لأطلقَ عصفورةً

في عروق الدفا البائدةْ

رضاكَ، رضاكَ

لئلا

أَضِلَّ ببوصلةِ

اللغةِ الجاحدةْ!

يدي لا تدعها

أنا بائسة

يدي يا إلهي

الرُّبَا الناعسة!

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

معي متحفٌ

طاعنٌ في الوفاءِ

ويخشى بأنْ يقتلوا حارِسَهْ!

معي يا إلهي

بساتين دفلى

تخافُ نعالَ

الوغى

الدائسة!

معي يا إلهي

حصانٌ يلوّعُ صدرَ البراري أسىً

إذْ نعى فارسَهْ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

إلهي أفِضْ

من جمالكَ

كي تضحكَ

الوردةُ العابسةْ!

يدي يا إلهي

على خافقي

أُسمّي بإسمكَ يا خالقي

لتمضي عواصفهُ في دمائي

كريح الصّبا في المسا الرائقِ

لتبدو البراكينُ ضحكةَ غيمٍ

على كتفِ الليلكِ العاشقِ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

لأنسى المواويلَ حين تمرُّ

على مبسمِ العازف الصادقِ

لئلا تحاصرني بالجنون/الأغاني

بنزفِ الهوى الشاهقِ!

فوق الخناجرِ حافيةْ

في الروحِ أوجاعُ المجرّة كلّها

وأنا إلهي

راضيةْ

وتركتُ أن تقضي لأمري

ما تشاءُ

على غصوني الباليةْ

سلّمت قلبي في يديكَ

وقلتُ للأنهارِ

كوني جاريةْ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

تلك الدروبُ رسَمتَها

قبل الخليقةِ

والبسيطةُ فانيةْ

لطفاً إذا أمشي

فإنّ قصيدتي فوق الخناجرِ

حافيةْ

والريحُ تلفحُ صدر أشرعتي

فتوجعني السواقي العاريةْ

والذكرياتُ مواقدٌ محروقةٌ

في العينِ تُبكي القافيةْ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

لطفاً بوردتها التي كانت

بها كفّ العواصفِ قاسيةْ

أنسى خشوعي

إنّما نفحاتكَ الأندى

بروحي سارية

وأنا بدونكَ لا أكونُ

ولست ياربي لغيركَ

راجية

معركةٌ بلا خيل

في الروحِ

معركةٌ بلا خيلٍ

وموتى في الطريقْ

وكأنّما موتٌ جماعيٌّ

ينامُ على قرايَ

ويستفيقْ

أوقعتُ أسلحتي

ورحتُ أذوب في النيرانِ

يأكلني الحريقْ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

ظهري مليءٌ بالسهامِ

وكلّ أوردتي

على دمها تضيقْ

أجّلت هذا النزفَ لكنْ

لم أعد لقناع ضحكتها

أطيقْ

فِيْضِي بكاءً

في المرايا

واكسري ما كانَ

من زيفِ البريقْ

باحتراقِ الدراويشِ قد جئتهُ

أنا آسفةْ

لأنّكَ أودعتَ حبّكَ،

في مقلتيّ

وقد خنتُهُ

وأمسكتَ كفّي بنورِكَ

ثمّ بعتمةِ ذنبيَ

أفلتهُ

وأشربتني من معين الصفاءِ

فكيف تراني عكّرْتُهُ؟

وأعليتَ لي يا حبيبي

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

مقامَ الوصال

فأنزلتهُ

وأورثتني مطراً في عيوني

بصحراء جهليَ

أبدلتهُ

وأهديتني صدقَ من صدقوكَ

وكُلَّ الذي رمتُهُ

وأخجلُ منكَ

إذا قاربي

في بحارِ الغواياتِ

أغرقتُهُ

أذوبُ حياءً

لأنك تنظر في نهرِ سرّي

الذي بُحْتُهُ

رجوتكَ باسمِ الودودِ

الذي بانكسارِ دموعيَ

ذوّبتهُ

وباسم الرحيم الذي حينَ

أغرقَ كأسَ المريدينَ

كم ذقتهُ

وباسم الغفورِ الذي

باحتراقِ الدراويشِ

قد جئتهُ

وباسم العزيزِ الذي

بانسكابِ المجاذيبِ

رددتهُ

وباسم المغيثِ

الذي حولَ كعبةِ عرشكَ

طوّفتُهُ

وباسمكَ أللّهُ

اللّهُ

اللّهُ

اللّهُ

عمريَ أسريتُهُ

على الباب قلبي يناجيكَ

ـــــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

ملء انكساريَ

أبقيتهُ

فهلَا حننتَ

وهلّا غفرتَ

وهلّا عفوتَ

وهلّا رحمتَ

وهلّا انتصرتَ

وهلّا شَفَيتَ

وهلّا تجليتَ

هلّا وهلّا..؟

فأنت الذي في انقطاعي ووصليَ

أحببتهُ

نبيٌّ روحي

ستبقى بمعراجِ روحي نبيّا

لأنّي سقيتكَ

وُدّاً خفيّا

فأبقيتُ فيكَ سماواتِ همسي

وأخفيتُ فيكَ

ابتهالاً شجيّا

وأسرجتُ بالدمع شبّاكَ بوحي

وأطفأتُ بالصمتِ

شعراً حيّيا

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

وإنّي سأَطويكَ بينَ حروفي

لترجعَ من جبِّ صوتي إليّا

فخذني إليكَ احتمالاً جميلاً

سيجعلُ متنَ الصخورِ

طريّا

تَرَفَّقْ بشمعٍ أداريكَ فيهِ

لتبقى إذا جفَّ ضوئي

نديّا

وقلبي الذي قد تماهى ابتهالاً

سيبقى بقلبكَ دوماً

حَفِيّا

دافئاً سوف تبقى

يعزّ عليّ احتراقُ الحماماتِ

في لغتي الجافيةْ

ظلالاً تموتُ

وقد كنتَ تيقظُ بالشمسِ

سُنْبلةً غافيةْ

وموتَ النوارسِ حينَ أحسّتْ

ذبولَ الموانئ في القافيةْ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

يعزُّ عليَّ اغترابي وموتكَ

بين ضلوعِ الندى الباكيةْ

أُكفّنُ روحَ الفراتِ

بروحي

لأُبقيْ قواربَهُ دافية!

العصافيرُ تسرقُ خبزي

مزيداً من الحزنِ حتى تجفّ السنابلُ، تعدو على كتفيَّ

وحوشُ البراري فتنهشها ثمَّ أمسحها بالتناسي

سيسقطُ قلبي

ويغدو غيابي جميلاً على الآخرين!

مزيداً من الحزنِ

صوتي يحاولُ أن يحجبَ الشجوَ، لكنْ

تباغته دمعةٌ في طريق العيونِ

ويبتلُّ محترقاً بالمساءِ الحزين!

العصافيرُ تسرقُ خبزي، فأغمضُ عينيَّ

كي لا تخافَ، أحبُّ ارتباكتها في الهواءِ

وأغنيةً كم تشقُّ ابتهالي الدفين!

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

سيسقطُ قلبي

ويغدو غيابي جميلاً على الآخرينْ

تمدُّ الدوائرُ رحلتها في خطوطي

فأفقهُ كيف تسافرُ دائرةٌ في الفضاء!

تسافرُ مرهقةً بالتفافِ السكاكينِ حول الحنين!

أنا لم أعدْ

أحبُّ بياضي

يحاصرني الياسمين..!

ولا أستطيعُ بأنْ لا أكونَ من الطيبين

سيسقطُ قلبي

ويغدو غيابي جميلاً على الآخرين!

لا أمنيات

" لا أمنياتْ "

قال الطريق لقطةٍ عَرجَتْ على كتفيهِ

تنزفُ

وانتهى ذاكَ المُواءْ

كانت طريقته ليخبرها:

"`ذاكَ التأمّل خنجرٌ إنْ كان يمشي قربنا خَجِلاً

على استحياءْ!"

"لا أمنياتْ"

قالت حبيبتهُ القديمةُ

بعدَ عمرٍ من جفاف الغيمِ جهراً

والتواءِ أصابعِ الحبّ الرقيقةِ

ـــــــ العصافيرُ تسرقُ خبزي ـــــ

في فراغِ القلبِ

حين يضجُّ في أركانهِ صوتُ الشتاءْ

كانت طريقتها لتخبرهُ:

"بأنّ الحبَّ مخلوقٌ سماويٌّ

وأنّ سوادَهُ جَرَحَ السماءْ "

لا تموتي سكوتاً

بعيدانِ

والذكرياتُ رماحٌ

وأكواخنا يَبِسَتْ في التّلالْ

وأروقةُ الحيّ نزفُ غزالٍ

على رئتيْ والضمادُ مُحالْ

يقولُ الصدى: لا تموتي سكوتاً

فصمتكِ يجرحُ بوحَ القتالْ

تقول القصيدةُ: عينُكِ أشعرُ

منّي، لذلكَ يُتْعِبُني الإشتعالْ

تقولُ لي الروحُ: أنتِ أنا

والسَكِيْنَةُ حيناً

بحجبِ الوصالْ

فهرس

الإهداء ٥

بلا أيِّ حبرٍ سريّ..... ٩

نقوشُ العذابات..... ١٥

مجازاتٌ خفيّة ١٩

محرابها كتفُك ٢٧

شتاتٌ دافئ..... ٣١

لا أستطيعُ قتالَ قلبك! ٣٧

لُغزٌ دائخٌ بي ٤١

قهوتها لا تذوب! ٤٥

كدعاءٍ لا أَمَلّ منه..... ٤٩

مقاماتٌ للغناءِ المُرّ ٥٣

صراخُ النّارِ والطوفان ٥٧

بين اقترابكَ وابتعادي..... ٦١

لا تنتصرْ لي في شرودكْ ٦٥

أعَرّشُ رغمَ النزيفِ ببالِكْ ٦٩

مثلما ينتهي الأوكسجين..... ٧٣

اكسرني أكثر.. لأنعتق ٧٩

تصطادُ من نجمةٍ نورَهَا ٨٥

لستُ بخير ٨٩

نستعيرُ منكِ الهواء، فلا ينقطع! ٩٥

سيغيبونَ وتلوحي ١٠١
يدي لا تدعها ١٠٧
فوق الخناجرِ حافيةْ ١١٩
معركةٌ بلا خيل ١٢٣
باحتراقِ الدراويشِ قد جئتهُ ١٢٥
نبيٌّ روحي ١٣١
دافئاً سوف تبقى ١٣٣
العصافيرُ تسرقُ خبزي ١٣٥
لا أمنيات ١٣٧
لا تموتي سكوتاً ١٣٩
فهرس ١٤٢

العصافير تسرق خبزي

سأعودُ خاسرةً
إذا أعلنْتَ حَرْبَكَ

°

فأنا احتراقُ مدينةٍ في مذبح الشعراءِ،
نِصْفُ قصيدةٍ محروقةٍ في قَلبِ أُمّي
وأنا الشتاءُ المرهَقُ العنويُّ
إنْ أَحْنى مواسِمَهُ على أكتافِكْ

°

وأنا انتظارُ الغارقينَ لموتهمْ
نردٌ يراقبُ دَحْرَجَاتِ أصابعٍ لعبت بهِ
وأنا اختبارٌ مُتْرَعٌ بالوخزِ
أخشى أن تصيبكَ لوعةٌ رَغْمَ احتراقِكْ !

العصافير تسرق خبزي

آلاء نعيم القطراوي

شعر

9 786257 240538

موزاييك للدراسات والنشر